

أضواء البيان

@ 347 @ .

قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } .
 ذرأكم معناه : خلقكم ، ومنه قوله تعالى : { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
 مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ } وقوله في الأرض : أي خلقكم وبثكم في الأرض ، عن طريق التناسل
 ، كما قال تعالى : { وَبَثَّ مِنْهُمَ آدَمَ رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } وقال : { ثُمَّ
 إِذْ آتَيْنَاهُمُ الْبَشَرَ تَنْتَشِرُونَ } وقوله : { وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } أي إليه وحده
 ، تجمعون يوم القيامة أحياء بعد البعث للجزاء والحساب . .
 وما تضمنته هذه الآية ، من أنه خلقهم ، وبثهم في الأرض . وأنه سيحشرهم إليه يوم القيامة
 . جاء معناه في آيات كثيرة كقوله في أول هذه السورة { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
 مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ } إلى قوله : { ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 تُبْعَثُونَ } وذكر جل وعلا أيضاً هاتين الآيتين في سورة الملك في قوله تعالى : { قُلْ
 هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ
 قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } والآيات
 في هذا المعنى كثيرة . .

قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ } . قد قدمنا الآيات الدالة على
 الإماتتين والإحياءتين ، وأن ذلك من أكبر الدواعي للإيمان به جل وعلا في سورة الحج في
 الكلام على قوله : { وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ }
 وفي سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ
 أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ } . فأغنى ذلك عن إعادته هنا . .

قوله تعالى : { وَلِلَّهِ اِخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } . بين
 جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن له اختلاف الليل والنهار ، يعني : أن ذلك هو الفاعل له
 وهو الذي يذهب بالليل ، ويأتي بالنهار ، ثم يذهب بالنهار ويأتي بالليل ، واختلاف الليل
 والنهار ، من أعظم آياته الدالة على كما قدرته ، ومن أعظم مننه على خلقه كما بين
 الأمرين في سورة القصص في قوله تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ
 عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ }
 يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ وَالنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَّا غَيْرُ
اللَّهِ يَا تُبَيِّكُمُ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ
رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } . أي لتسكنوا في الليل وتطلبوا معاشكم
بالنهار . والآيات الدالة على اختلاف الليل والنهار ، من أعظم الآيات الدالة على عظمة
[] ، واستحقاقه للعبادة وحده كثيرة جداً كقوله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ
وَالنَّهَارُ } وقوله : { وَآيَةٌ لَهُمُ الَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ } وقوله { يُغْشَى الَّيْلَ النَّهَارُ } وقوله { وَالْ
الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } وقوله تعالى : { وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ
وَالنَّهَارَ } . وقوله تعالى : { إِنَّ فِي اخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًا لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ } والآيات
بمثل هذا كثيرة جداً ، وقوله تعالى : أفلا تعقلون : أي تذكرون بعقولكم أن الذي ينشئ
السمع والأبصار والأفئدة ، ويذوكم في الأرض وإليه تحشرون ، وهو الذي يحيي ويميت ويخالف
بين الليل والنهار أنه الإله الحق المعبود وحده جل وعلا ، الذي لا يصح أن يسوى به غيره
سبحانه وتعالى علواً كبيراً . .

قوله تعالى : { بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْإِسْرَائِيلُ قَالُوا أَءِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءَنبَاؤُنَا } . لفظة بل هنا للإضراب
الانتقالي . .

والمعنى : أن الكفار الذين كذبوا نبينا صلى الله عليه وسلم ، قالوا مثل ما قالت الأمم
قبلهم ، من إنكار البعث ، لأن الاستفهام في قوله : { أَءَنبَاؤُنَا } إنكار
منهم للبعث . والآيات الدالة على إنكارهم للبعث كثيرة كقوله تعالى عنهم : { مَنْ يُحْيِ
الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } وكقوله عنهم : { وَمَا زَحْنُ بِمَيِّعُوثَيْنِ }